الدولة البهويهية الفارسية

فى العراق

أو الدولة الفارسية الخامسة فى العراق

٣٣٤ هـ - ٤٤٧ هـ

٩٤٥ م - ١٠٥٥ م

بدء دولة بنى بوية

تمهيد :

ابتدأت هذه الدولة بقيام ثلاثة أخوة أبو الحسن على وأبو على الحسن وأبو الحسن أحمد أولاد أبى شجاع بويه بن فناخسرو الذى يتصل نسبه على ما قيل إلى ملوك الفرس القدماء [1] وكان أبوهم أبو شجاع قد سكن بلاد الديلم ونشأ أولاده فيها ثم خرجوا مع من خرج من بلاد الديلم [2] من أهل العصابات والثورة من دعاة العلويين ليفسدوا على العباسيين فدخل الأخوة الثلاثة فى جيش ما كان ابن كالى فلما أدبر أمر ما كان التحقوا بمرداويج مؤسس الدولة الزيارية فى

---

(١) ويروى أن نسبه يرتفع إلى يزدجر الثالث الساسانى وقيل إلى مهر نرسى وزير بهرام جور الأول .

(٢) الديلم جيل من الفرس وكانوا من السبعة ولم يكن بنو بويه من الديلم بل أن أنصارهم ورجالهم من الديلم ومن الجيلان وراء خراسان (وهى البلاد الممتدة على سواحل بحر خزر من جنوبه الغربى) ولهذا لقبت دولتهم بالديلمية كما لقبت بالبويهية أيضاً .

(طبرستان وجرجان والرى وقزوين وهمدان وأصبهان وغيرها) فتقلد كل واحد منهم ناحية من الجبل سنة ٣٢١ هـ الموافقة لسنة ٩٣٣ م وكان أكبرهم وهو أبو الحسن على على بلاد الكرج التى كانت فى العراق العجمى بين أصفهان وهمذان وكان عالى الهمة فكثر اتباعه واتباع أخويه ثم حصلت بينه وبين مرداويج وحشة فانتقض عليه وسار إلى أصفهان وملكها ثم استولى على أرجان (جرجان) وعلى أثر ذلك كاتبه أهل شيراز يستدعونه فسا إليهم سنة ٣٢٢ هـ / ٩٣٤ م فقاتله ياقوت عامل الخليفة ولكنه فشل وانهزم ودخل على شيراز فدانت له بلاد فارس كلها واشتهر ، ولما قتل مرداويج انضمت عساكره إلى على هذا وكان الخليفة يومئذ أراضى بالله فكتب إليه على والى وزيره على بن مقلة يطلب تقرير البلاد عليه بألف ألف درهم (مليون) فى السنة فأجيب إلى ذلك وبعثوا إليه بالخلع واللواء ولما قوى أمر على أقطع أخاه الحسن أصفهان وأخاه أحمد كرمان وأقام هو بفارس ملكاً عاماً إلى أن مات سنة ٣٣٨ هـ بعد أن أسس أكبر دولة فارسية شيعية فى الشرق .

وأول غارة شنها البويهيون على العراق كانت فى سنة ٣٢٦ هـ الموافقة لسنة ٩٣٧ م وذلك أن أبا عبد الله البريدى كان قد أنهزم من ابن رائق وبجكم التركى (يجكم) المتغلبين على الخلافة ببغداد وسار إلى أصطخر مستنجداً بعلى بن بويه فأرسل أخاه أحمد لأخذ العراق فسار هذا بجيوشه حتى وصل أرجان فلاقاه هناك بجكم والى مدينة واسط وكان قد سار لصده وبعد عدة معارك انهزم بجكم إلى الأهواز فتقدم أحمد إلى عسكر مكرم وقاتل حاميتها الذين تركهم فيها بجكم فهزمهم ففروا إلى تستر ثم سار أحمد الأهواز وملكها عنوة وفر بجكم إلى واسط وعلى أثر ذلك حدث خلاف بين أحمد وبين ابن البريدى فهرب الثانى فعلم بأختلافهم بجكم فأرسل جيشاً واسترد الأهواز وأكثر البلاد التى أستولى عليها أحمد

فلما فشل أحمد استنجد بأخيه على فأمده بالجيوش فعاد وأستولى على الأهواز ، أما بجكم فأنه سار من واسط إلى بغداد وأستولى عليها وقلده الخليفة الراضى بالله إمارة الأمراء خوفاً من شره وذلك سنة ٣٢٩ هـ وكان ابن البريدى بعد أن فر من أحمد قد أقام بالبصرة وصار يراسل بجكم ويحرضه على المسير إلى الجبل ليرجعها من الحسن بن بويه ثم يسير إلى الأهواز فيستردها من أحمد بن بويه واتفق معه فأمده بجكم بخمسمائة فارس وسار هو إلى حلوان فى أنتظاره وبقى ابن البريدى يتربص ببجكم وينتظر أن يبعد عن بغداد فيهجم هو عليها فأدرك ذلك بجكم فرجع إلى بغداد . ولما عظمت الفتن فى بغداد وتوالت الأضطرابات فى العراق وتولى إمارة الأمراء توزون التركى (تورون . أوطوسون) كان أحمد مقيماً بالأهواز يراقب كل ما يجرى فى بغداد من الأعمال ويأخذ الأخبار عن الحوادث التى تقع فيها فأغتنم فرصة نكبة الخليفة المتقى بالله فحمل بجيشه إلى واسط سنة ٣٣٣ هـ فلاقاه توزون والخليفة المستكفى بالله فحمل بالعساكر فرجع أحمد إلى الأهواز وظل يترقب الفرص ولما اشتدت الفتن فى بغداد وضاقت بها الجبايات على العمال وخلاً بيت المال وأمتدت الأيدى إلى أموال الناس وزاد ظلم الأتراك فى العراق وتقاعد الناس عن الأعمال فغلت الأسعار وقطعت الطرق وأصبحت البلاد العراقية فوضى واضطرب حبل الأمن وتولى إمارة الأمراء زبرك بن شير زاد التركى وأخذ أهل بغداد بالجلاء عنها خصوصاً التجار خوفاً من المصادرات وضاق الأمر بالناس وسئموا تجبر الأتراك وظلمهم وغدرهم بالخلفاء استغاثوا بأحمد بن بويه سراً وكتب إليه أحد القواد الأتراك المدعو ينال كوشه يطعمه فى العراق (كتب إليه بغضه لزيرك بسبب ما كان بينهما من العداوة) فنهض أحمد مغتنماً فرصة تلك الفتن المخزنة وسار بجيوشه الديلم من الأهواز مسرعاً فخرج إليه زيرك بمن معه من جيوش الاتراك وقبائل الأكراد الذين جمعهم فالتقى الفريقان وبعد معارك هائلة

انهـــزم زيرك بمن معه وسار قاصداً الموصل بعد أن تولى الإمارة ثلاثة أشهر وأختفى الخليفة فى داره ببغداد وخاف خوفاً شديداً وأضطرب الناس .

أمـــا أحمد بن بويه فأنه قدم كاتبه حسن المهلبى فلما دخل هذا بغداد ظهر الخـــليفة المستكفى ودعى المهلبى إلى داره وأظهر له السرور والفرح بانتصار أحمد وقدومه .

ثم دخل أحمد بغداد فى شهر جمادى الأولى سنة ٣٣٤ هـــ بأستقبال عظيم وذهب إلى دار الخليفة وأجتمع به فولاه الإمارة وحلف له وخلع عليه وألبسه طوقاً مـــن الذهب وسوره بسوارين من الذهب وفوض إليه تدبير المملكة وعقد له لواء وأمـــر أن يخطـــب له عـــلى المنابر ولقبه معز الدولة ولقب أخاه علياً عماد الدولة وأخاه الحسن ركن الدولة وأمر بضرب ألقابهم على الدراهم والدنانير .

معز الدولة

أحمد بن بويه[1]

سنة ٣٣٤ هـ - ٣٥٦ هـ

لما استتب أمر معز الدولة فى العراق ورتب شؤون البلاد أقام ببغداد فأستأمن إليه أبو القاسم البريدى من البصرة وكان حاكماً عليها وضمن له واسط وأعمالها فعقد له عليها فى السنة نفسها ٣٣٤ هـ ، وعلى أثر ذلك حجر معز الدولة على الخليفة وقدر له برسم النفقة كل يوم خمسة آلاف درهم (وهو أول من فعل ذلك من البويهيين وأول من ملك بغداد منهم) وبعد قليل حدثت بينه وبين الخليفة وحشة ورآه يسعى فى أعادة حقوق الخلافة المغصوبة فعزم على خلعه فأجتمع به فى قصر الخلافة فى محفل حافل وبينما هم جلوس دخل اثنان من كبار الديلم وتناولاً يد الخليفة فظنهما يريدان تقبيلها فمدها فجذباه عن سريره ووضعا عمامته فى عنقه وأخذ بخناقه وساقوه ماشياً إلى دار معز الدولة فى أسوأ حال وهناك خلعوه واعتقلوه وسلموا عينيه وظل فى دار السلطنة معتقلاً حتى توفى فى سنة ٣٣٨ هـ .

أما معز الدولة فأنه لما ساق أصحابه الخليفة نهض من دار الخلافة وسار إلى داره فضربت البوقات والطبول ونهب الديلم ما فى قصر الخلافة من الأموال الثمينة فأستاء الأهلون ونقموا على معز الدولة فأضطربت بغداد، فلم يبال معز بشىء بل

---

(١) انظر المزيد فى : وفيات الأعيان ١/ ٥٦ ، تجارب الأمم ٦/ ١٤٦ و ٢٣١ .

أنـــه جمع رجاله وأحضر أبا القاسم الفضل بن المقتدر فبايعه بالخلافة وأخذ له البيعة العامة فلقبوه المطيع لله (٣٣٤ هـــ - ٣٦٣ هـــ) (٩٤٥ م - ٩٧٣ م) ومنذ ذاك أغتصب معز الدولة ما بقى من حقوق الخلافة ولم يبق للخليفة غير كاتب يدبر أملاكه واقطاعه التى تركها له ليسد بها حاجاته . وأصبحت سلطة الخلافة مسلوبة تمامـــاً ولم يـــبق لخليفة غير الأسم والتوقيع على المناشير وصارت الوزارة من جهة البويهيين بعد ما كانت من جهة الخلفاء .

وظـــل السعد يخدم معز الدولة حتى بلغ مالم يبلغه أحد قبله فى الإسلام إلا الخلفاء .

الحرب فى بغداد

عـــلى أثر خلع الخليفة المستكفى [1] ومبايعة المطيع جهز ناصر الدولة بن حمـــدان صاحب الموصل جيشاً كبيراً لقتال معز الدولة وطرده من بغداد لأنه سائه استيلاء معز الدولة على بغداد وخلعه المستكفى وسلبه حقوق الخلافة . فبلغ ذلك معز الدولة فجهز جيشاً وأرسله لملاقاته بقيادة موسى بن فيادة وينال كوشة التركى فالـــتقى الجيشان فى عكبرا فأنتصر ناصر الدولة وتقدم قليلاً فأضطر معز الدولة إلى تجهيـــز جيـــش جديد قاده بنفسه وأخذ معه الخليفة فحدثت بين الفريقين حروب شـــديدة فأرســـل معز الدولة فى أثناء ذلك القائد زيرك بن شير زاد التركى (الذى الـــتحق بـــه) بفرقة من عساكره إلى بغداد لخلوها من الجيوش فأستولى عليها زيرك

---

(١) انظر المزيد فى : الكامل ٨/ ١٣٧ - ١٤٨ ، تاريخ الخميس ٢/ ٣٥٣، نكت الهميان ١٨٢، النبراس ١٢٠، مروج الذهب ٢/ ٤٢٠ - ٤٢٩، تاريخ بغداد ١٠/١٠ .

بغـــتة بأســـم ناصر الدولة وعلى أثر ذلك توجه ناصر الدولة من سامر إلى بغداد فأنحاز إليه ينال كوشه ومن معه .

فبلغ ذلك معز الدولة فسار ومعه الخليفة والجيوش إلى بغداد فوجدوا ناصر الدولـــة قـــد دخلها فاقتحموها فدخلوا الجانب الغربى منها، وأنقسمت المدينة إلى شطرين، الجانب الشرقى فى قبضتة ناصر الدولة ابن حمدان [١]. والجانب الغربى بيد معـــز الدولة البويهى . فحدثت بين الفريقين عدة معارك هائلة داخل المدينة دامت أيامـــاً . نهب فى أثنائها الديلم كثيراً من أموال الناس حتى قال بعضهم أنهم نهبوا ما يقـــدر بعشـــر ملايـــين مـــن الدنانير، وضاق الحال بمعز الدولة حتى أنه عزم على الانســـحاب إلى الأهواز فحملت جنوده حملة عنيفة نهائية فأنتصرت وأضطر ناصر الدولـــة إلى الانسحاب فخرج من بغداد وعاد إلى مقره وذلك فى محـــــرم سنة ٣٣٥ هـــــ الموافقة لسنة ٩٤٦ م [٢] ثم جرت بينهما مراسلات فتم الصلح بينهما عـــلى أن يحمل ناصر الدولة إلى معز الدولة مبلغاً من المال فى كل سنة عن الموصل وديار بكر وديار مضر والجزيرة .

---

(١) هـــو الحسن بن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان التغلبى من ملوك الدولة الحمدانية كان صاحب الموصل وما يليها. ولقبه المتقى العباسى بناصر الدولة وخلع عليه وجعله أمير الأمـــراء وهـــو أخـــو سيف الدولة وأكبر منه . كان شجاعاً مظفراً، عارفاً بالسياسة والحروب . عاقلاً ولما توفى أخوه سنة ٣٥٦ هـــ أصيب بالسويداء ، فحجر عليه بنوه وســـيره ابـــنه فضل الله (الغضنفر) من الموصل إلى قلعة أردمشت، مرفها فتوفى فيها ، ونقل إلى الموصل . وكانت إمارته اثنتين وثلاثين سنة . وكان يدادى بنى بويه .
انظر المزيد فى : وفيات الأعيان ١/ ١٤٠ .

(٢) ويـــروى أن ناصـــر الدولة لما بلغته أعمال معز الدولة أمتنع عن دفع المال المقرر إلى الخلافـــة عـــن البلاد التى يحكمها فحمل عليه معز الدولة وجرت من أجل ذلك هذه الحروب .

الاضطرابات في العراق

وفى السنة نفسها ٣٣٥ هـ أنتقض أبو القاسم بن البريدى بالبصرة فأرسل معز الدولة جيشاً لقتاله فبلغ ذلك ابن البريدى فسير جيوشه للقتال فالتقى الجمعان فى واسط فدارت الدائرة على جيش ابن البريدى وبلغه خبر الهزيمة فجهز جيشاً ثانياً فخرج معز الدولة من بغداد بجيش كبير ومعه الخليفة المطيع لله قاصداً طرد ابن البريدى من البصرة فلما وصل إلى الدرهمية أستأمن إليه جيش البصرة فأضطر ابن البريدى إلى الهرب وفر إلى القرامطة فدخل معز الدولة ومن معه البصرة وذلك فى ٣٣٦ هـ بعد أن نظم شؤونها ولى عليها وزيره حسن المهلبى ورجع إلى بغداد .

ولما كانت سنة ٣٣٧ هـ امتنع ناصر الدولة ابن حمدان عن إرسال المال المقرر إرساله إلى بغداد فحمل عليه معز الدولة بجيوشه الديلم فلما اقترب من الموصل فر ناصر الدولة إلى نصبين فدخل معز الدولة الموصل بدون قتال ، وبينما هو عازم على مطاردة ناصر الدولة بلغه قدوم الجيوش الخراسانية على جرجان والرى لقتال أخيه فأضطر إلى مصالحة ناصر الدولة فتم الصلح بينهما على أن يؤدى ابن حمدان عن بلاده مليوناً من الدراهم فى كل سنة، وأن يخطب لبنى بويه فى جميع بلاده . الموصل والجزيرة وسنجار ونصيبين والرحبة ورأس العين والخابور .

فرجع معز الدولة إلى بغداد . فأنقطعت الاضطرابات أكثر من ثلاث سنوات فى العراق فحمل فى سنة ٣٤١ هـ يوسف بن وجيه صاحب عمان على

البصـــرة وحاصـــرها أيامـــاً فقاتله أميرها حسن المهلبى حتى أضطره إلى الرجوع بالفشل.

فهـــدأت الأحوال إلى سنة ٣٤٧ هـــ فأمتنع ابن حمدان عن تأدية ما عليه مـــن المـــال فزحف عليه معز الدولة لأخذ بلاده فأنهزم ابن حمدان إلى حلب وبعد مراســـلات تصالحا وعاد كل منهما إلى مقره على أن يدفع ابن حمدان فى كل سنة مليونين من الدراهم عن بلاده إلى معز الدولة .

ولم تمـــض ســـنة على ذلك الصلح حتى فسدت نية معز الدولة على ناصر الدولـــة فحمل عليه بجيوشه ومعه وزيره المهلبى وحجته فى ذلك تأخير أرسال المال المقرر (والظاهر أنه كان يريد أضعافه أو محو حكومته لئلاً تكون بجانبه إمارة عربية قويـــة) ولما أقترب ابن بوية من الموصل فر ابن حمدان إلى نصيبين ثم بدأت غارات بعضهم على بعض حتى ضعف أمر ابن حمدان فأضطر إلى الهرب إلى حلب عند أخيه ســـيف الدولة وكتب إلى معز الدولة يسأله الصلح فأبى وحجته فى ذلك أنه خالف مـــرة بعـــد مرة فأضطر سيف الدولة إلى أن يكون ضمان البلاد التى لاخيه ناصر الدولة بأسمه وتعهد بدفع مليونين وتسعمائة ألف درهم سنوياً وأن يكون الحكم فيها لأخيـــه فتم الصلح وعاد كل منهما إلى مقره وذلك فى سنة ٣٤٨ هـــ وبعد مضى خمـــس ســـنوات امتنع ناصر الدولة عن دفع الضمان السنوى (أى المال) فعادت الحـــرب بـــين الفريقين وحمل معز الدولة على الموصل فأنهزم منها ناصر الدولة إلى نصـــيبين فلحقه معز الدولة فلما اقترب منه فر منها إلى جزيرة ابن عمر وبينما معز الدولة يتتبع أثار ناصر الدولة فى جزيرة ابن عمر إذ حمل ناصر الدولة على الموصل بغته ومعه أولاده وجيوشه فدخلها وفتك بالديلم وأسر كبرائهم وغنم جميع ما فيها مـــن الأموال والذخائر التى لمعز الدولة فأضطر الأخير إلى عقد الصلح فتم بينهما وعاد معز الدولة إلى بغداد .

ولم تمض مدة قصيرة على هذه الحادثة حتى شغب الجند فى بغداد على معز الدولة بسبب تأخير مرتباتهم . ولما كان المال الموجود غير كاف للجند أضطر معز الدولة إلى أخذ أموال الناس بالباطل فصادر بعض المثرين من أهل الوجاهة فلم يغنه ذلك شيئاً فمد يده إلى ضياع الخلافة وضياع الملاكين وسلمها إلى قواده ليزرعوها ويأخذوا مرتباتهم من غلتها ولم يكتف بهذه الأعمال المخالفة للعدل بل أنه لما بنى سنة ٣٥٠ هـ قصره المعروف بالدار المعزية فى محلة الشماسية (السليخ اليوم) وصرف عليه نحو مليون دينار واحتاج إلى المال صادر جماعة من رجال الحكومة ثم احتاج إلى المال لأمور أخرى فأعطى القضاء بالضمان (بالالتزام) فضمنه عبد الله بن الحسن بن أبى الشوارب بمائتى ألف درهم سنوياً يدفعها إلى بيت المال ببغداد وسمى قاضى قضاة بغداد (وهو أول من ضمن القضاء فى الإسلام) [١].

وفى أيام معز الدولة أسست الإمارة الشاهينية بالبطيحة فى العراق فى سنة ٣٣٨ هـ أسسها عمران بن شاهين من أهل الجامدة [٢] بعد أن حدثت بينه وبين معز الدولة حروب عديدة وعجز معز الدولة عن قهره حتى اضطر إلى مصالحته وتقليده إمارة البطائح [٣] ثم خرج على معز الدولة فى سنة ٣٥٤ هـ وظلت الديلم تقاتله تحت قيادة أبى الفضل العباس بن الحسن مدة طويلة فمات معز الدولة فى سنة ٣٥٦ هـ فأضطر جيشه لمصالحته .

---

(١) ومنذ ذلك الحين صاروا يعطون القضاء بالضمان فى أكثر الأحيان ثم صاروا يعطون الحسبة والشرطة وغيرهما بالضمان أيضاً .

(٢) الجامدة قرية كبيرة من أعمال مدينة واسط بينها وبين البصرة ظلت عامرة إلى القرن السادس للهجرة .

(٣) والبطائح أو البطيحة هى أرض بين البصرة والكوفة فيها قرى وطايح ومستنقعات وكان خراجها كثيراً خصوصاً فى أيام بنى أمية .

وفى أيام معز الدولة جرى فى بغداد مأتم رسمى فى يوم عاشوراء على الحسين ابـــن الإمام على بأمر أصدره فى سنة ٣٥٢ هـــ قضى بأغلاق جميع الأسواق وبمنع الطـــباخين مـــن الطبخ وبإخراج نساء يلطمن فى الشوارع ويقمن العزاء للحسين. وهـــذا أول يوم جرى فيه مأتم رسمى على الإمام بن الإمام . ومعز الدولة هذا أول من فعل أرضاء لأبناء مذهبه الشيعة .

ومـــات معز الدولة ببغداد فى ١٣ ربيع الآخر سنة ٣٦٥ هـــ وكان ولى عهـــده ابنه بختيار الملقب بعز الدولة . ووزيره الحسن المهلبى . وحاجبه سبكتكين . وكاتبيه أبو الفضل العباس بن الحسين وأبو الفرج محمد بن العباس .

عز الدولة بختيار[1]

٣٥٦ هـــ - ٣٦٧ هـــ

لمـــا مات معز الدولة ببغداد فى ١٣ ربيع الآخر سنة ٣٥٦ هـــ وكان ابنه بخـــتيار المـــلقب بعـــز الدولة ولى عهده تولى الأمر بعده فأصدر الخليفة المطيع لله منشـــوره فى ذلـــك وخلع عليه ولقبه عز الدولة. وأول شيء فعله عقد الصلح مع عمران بن شاهين أمير البطائح .

ولم يكن عز الدولة كأبيه فى السياسة والتدبير بل كان ضعيف الرأى سيء الـــتدبير مشغولاً بالملاهى مسيئاً إلى رجال حكومته حتى أنه طرد كبار الديلم طمعاً فى إقطاعاتهم وسبب ذلك شغب الجند عليه ببغداد وكانوا يومئذ طائفتين – الديلم

---

(١) انظر المزيد فى : يتيمة الدهر ٢/ ٤ .

والأتـــراك – فتوالت الفتن بسبب سوء تدبيره وقلت الأموال وكثرت حروبه مع أمـــراء الـــبلاد المجـــاورة له كالموصل والبصرة وغيرها حتى زالت هيبته وطمع به أعـــداؤه. وانقطع عنه سبكتكين التركي لسوء سيرته وعصى بالبصرة أميرها أخوه حبشـــي ابن معز الدولة وثار عليه فى سنة ٣٥٧ هـــ فأرسل عز الدولة وزيـــره أبا الفضل العباس بن الحسين فأنتصر الوزير على حبشى وقبض عليه وصادر أمواله التى بالبصرة وأرسله مخفوراً إلى أخيه عز الدولة ببغداد فحبسه .

ثم ثـــار فى سنة ٣٥٩ هـــ أمير البطيحة عمران بن شاهين فسار لقتاله عز الدولة حتى نزل بواسط ثم أمر وزيره أبا الفضل أن ينحدر إلى الجامدة فأنحدر إليها بـــالجيش وحاصر البطيحة فطال أمد الحصار – وعز الدولة بواسط ينتظر الظفر – فضـــجر الجيـــش وثار على أبى الفضل فأضطر إلى عقد الصلح مع عمران وصالحه عـــلى مال يرســـــله فى كل سنة إلى عز الدولة ، فعاد الجميع إلى بغداد وذلك فى سنة ٣٦١ هـــ .

وفى هـــذه الســـنة ٣٦١ هـــــ جـــاء إلى بغداد فريق كبير من المسلمين مستصرخين بما فعل الروم فى الجزيرة ونصيبين فثارت عامة بغداد تريد حرب الروم فطـــلب عـــز الدولة من الخليفة مالاً لتجهيز الجنود فقال له الخليفة : تلزمنى النفقة عـــلى الحرب إذا كانت البلاد فى يدى وتجبى إلى الأموال . أما إذا كانت حالى هذه فـــلا يلزمنى شىء وأنما يلزم من فى يده البلاد ، وليس لى إلا الخطبة فإذا شئتم أن اعـــتزل فعلت ، فلم ينفع الخليفة احتجاجه ، وهدده عز الدولة فخاف على نفسه مـــن القـــتل ولم يكن عنده مال فأضطر إلى بيع أنقاض داره وأثاثها وثيابه فجمعت أربعمائـــة ألـــف درهم فسلمها إلى عز الدولة فشاع أن الأمير صادر الخليفة ، ولما قبض عز الدولة المال صرفه على مصالحه وتقاعد عن الحرب فأنقطع حديث الناس عن الحرب .

الفتنة
بين الديلم والاتراك

دخلت سنة ٣٦٣ هـ فسار عز الدولة إلى الأهواز فحدثت هناك فتنة بين الديلم والأتراك أدت إلى حرب دموية بين الطرفين فأنتصر عز الدولة للديلم وأعتقل رؤساء الأتراك ففتك الديلم بالأتراك . وبلغ ذلك من فى البصرة من الديلم فنودى بالبصرة أبا باحة دماء الاتراك فقتل منهم عدد كبير . واستولى عز الدولة على إقطاع سبكتكين التركى (حاجب أبيه معز الدولة) .

وبلغ ذلك سبكتكين وهو يومئذ ببغداد فثار بمن معه من الأتراك ونهب دار عز الدولة . واستولى على حكومة بغداد وطلب من الخليفة المطيع لله أن يخلع نفسه ويسلم الخلافة إلى ابنه عبد الكريم وكان المطيع قد أصيب فى هذه السنة ٣٦٣هـ بالفالج وثقل لسانه وتعذرت الحركة عليه ، فخلع نفسه وبايع لابنه عبد الكريم ولقبه الطايع لله فتمت له البيعة ٣٦٣ هـ - ٣٨١ هـ .

أما عز الدولة فأنه كان قد سار من الأهواز إلى البصرة ثم سار إلى واسط فبلغه ما حدث ببغداد فتوجه إليها فلما وصلها ورأى الأتراك قد استولوا على الدولة أخذ يدبر المكيدة على سبكتكين إلى داره للعزاء فيقبض عليه ، ففعلوا ذلك، غير أن سبكتكين لم تفته هذه الحيلة فحاصر دار عز الدولة ثم وضع النار فيها فخرج أهلها وطلب عز الدولة الذهاب إلى واسط بمن معه فأذن لهم سبكتكين فأنحدروا فى دجلة ومعهم الخليفة الطايع (وفى الحقيقة أنه طايع) فبلغ سبكتكين

خروج الخليفة معهم فأرسل جماعة من رجاله لإرجاعه فردوه إلى بغداد وقـــرى أمـــر الأتراك ببغداد وعلى أثر ذلك استولى سبكتكين على جميع ما كان لعز الدولة مـــن الأمـــوال المنقولة والثانية فتحمس الديلم الذين فى بغداد وثاروا فنهبوا أموال الأتـــراك فحدثت من جراء ذلك فتنة عظيمة وأنقسم البغداديون إلى حزبين السنة وهم أنصار الأتراك والشيعة وهم أنصار الديلم وبعد قتال دام بضعة أيام فى شوارع المدينة وأسواقها انتصر السنة وأحرقوا دور الشيعة ثم هدأت الأحوال من نفسها .

أما عز الدولة فأنه عندما وصل مدينة واسط استنجد بابن عمه ضد الدولة المســـتقل ببلاد فارس فلما علم الثانى بضعف أمر الأول وما فعله الأتراك معه عزم عـــلى المســـير لنصـــرته فسار فى عساكر فارس سنة ٣٦٤ هـــ قاصداً واسط ولما وصلها وأجتمع بعز الدولة اتفقا على أن يسير عضد الدولة إلى الجانب الشرقى من بغـــداد ويسير عز الدولة إلى الجانب الغربى منها فيحاصرها من جميع الجهات . ثم ســـاروا بالجيوش على تلك الخطة حتى أحاطوا بالمدينة . وكان سبكتكين قد مات قـــبل أن يحاصرا بغداد فخرج إليها عضد الدولة والتقوا بالقرب من تكريت وبعد عدة معارك وولى الأتراك مكانه أفتكين التركى فتجهز هذا لصد جيوش الديلم فلما أحاطوا ببغداد اتخذ خطة الدفاع ودافع هو رجاله دفاعاً شديداً وفى أثناء ذلك غلت الأســـعار وقـــلت الأقوات حتى احتاج أفتكين إلى الطعام واضطر إلى كبس بيوت البغداديين فكبسها وأخذ منها كل ما وجده من الطعام فأضطرب حبل الأمن وكثر الـــنهب والسلب فى المدينة وسادت الفوضى فيها وأخيراً اضطر أفتكين إلى منازلة عدوه خارج المدينة فخرج إليه وقاتلت جنوده قتالاً شديداً وبعد معارك هائلة انهزم بمن معه إلى تكريت وأستولى عضد الدولة وعز الدولة على بغداد .

ولما كان عضد الدولة طامعاً فى العراق وعالماً بضعف عز الدولة وقلة المال عنده أغرى الجنود على أن يثروا عليه ويطالبوه بنفقاتهم فشغبوا عليه وبالغوا فيه فأحتار عز الدولة لأنه كان لا يملك شيئاً من المال فأشار عليه عضد الدولة بعدم الاكتراث بهم والتظاهر بالتنازل عن الملك فظنه عز الدولة لضعف رأيه أنه ناصحاً ومدبراً ففعل ما أشار عليه وأغلق باب داره وصرف حجابه وكتابه فشاع فى المدينة أن عز الدولة قد تخلى عن الملك فأجتمع رجال الحكومة والجنود حول عضد الدولة ففرق على الجيوش الأموال وجلب إليه قلوبهم فنودى له بالملك .

ولما نجح عضد الدولة فى حيلته اعتقل عز الدولة وأخوته وصفى له الجو ببغداد .

وعلى أثر ذلك ثار فى سنة ٣٦٤ هـ المرزبان بن عز الدولة وكان متولياً على البصرة من قبل أبيه وكاتب أمراء البلاد يطلب منهم نصر أبيه فكتب إلى ركن الدولة يخبره بما فعل أبنه عضد الدولة بأبيه فغضب ركن الدولة لهذا الأمر وكتب إلى أبنه يأمره بأن يعيد الملك إلى عز الدولة فأجابه يعلمه بضعف رأى عز الدولة وأنه لا يقدر على ضبط الملك وتدبيره وأنه إذا ترك العراق له ربما ضاع من بنى بويه كافة . فأساء أبوه الرد عليه وحبس وزيره ابن العميد أبا القاسم فأحتال الوزير على ركن الدولة حتى أقنعه على شرط أنه إذا أطلقه من السجن يعيد الملك إلى عز الدولة فأطلقه على هذا الشرط فسار إلى بغداد وخوف عضد الدولة من أبيه وحذره عاقبة التعنت وصادف ذلك انتفاض بعض العمال على عضد الدولة واتفاق الأمراء الذين راسلهم ابن عز الدولة على قتاله اجتماع كلمتهم على نصر أبيه فخشى عضد الدولة عاقبة الأمر فأخرج عز الدولة من السجن وأعاده إلى منصبه وسار عن بغداد راجعاً إلى مقره وأستلم عز الدولة زمام الأمور .

ولما مات ركن الدولة سنة ٣٦٦ هـ وتولى ملكه أبنه عضد الدولة كان عز الدولة يسعى فى اجتذاب الأمراء إليه ليقوى بهم عضد الدولة حتى أنه أغرى بعضهم فى الانتقاض عليه فعلم ذلك عضد الدولة فعزم على أخذ العارق منه وسار بجنوده نحوه فخرج عز الدولة إلى واسط لصده وبعد معارك شديدة اندحر عز الدولة وتحصن فى واسط وطلب الصلح فترددت الرسل بينهما أياماً بدون فائدة وأخيراً صار عضد الدولة إلى بغداد ودخلها بسلام وكتب إلى عز الدولة يدعوه إلى الطاعة ويأمره بالخروج من العراق إلى أى قطر شاء إلا الموصل فخرج عز الدولة من واسط قاصداً سورية وذلك سنة ٣٦٧ هـ الموافقة لسنة ٩٧٧ م .

عضد الدولة بن ركن الدولة [1]

٣٦٧ هـ - ٣٧٣ هـ

عندما دخل عضد الدولة بغداد خلع عليه الخليفة الطائع وتوجه بتاج مجوهر وطوقه وسوره بسوارين على جرى العادة وقلده سيفاً من الذهب وعقد له لوائين أحدهما مذهب والآخر مفضض وكتب له عهداً قرئ بحضرته وأمر أن يخطب له على المنابر بالملك وأن يضرب أسمه ولقبه على الدراهم والدنانير. ولما خرج عضد الدولة من قصر الخلافة أرسل إلى الخليفة هدية فاخرة نقلها خمسون جمالاً من جملتها خمسون ألف دينار وألف ألف درهم (مليون) وخمسمائة ثوب من الحرير

---

(١) انظر المزيد فى : الكامل ٨ و ٩ ، بغية الوعاة ٣٧٤ ، البداية والنهاية ١١/ ٢٩٩ ، مرآة الجنان ٢/ ٣٩٨ ، يتيمة الدهر ٢/٢ ، وفيات الأعيان ١/ ٤١٦ .

وثلاثين صينية مذهبة فيها المسك والعنبر والكافور والند وغير ذلك من الثياب والفرش والخيل .

أما عز الدولة فأنه لما خرج من واسط قاصداً سورية ووصل حديثه الفرات وافاه أبو تغلب بن حمدان فى عشرين ألف مقاتل وكان من أنصاره فأتفق معه على قتال عضد الدولة وأخراجه من العراق فزحفاً على بغداد ودارت الدائرة على جيش ابن حمدان وانتصر عضد الدولة وأسر عز الدولة وقتله وقتل وزيره أبا طاهر محمد بن بقية بن على الملقب نصير الدولة وكانت بينه وبين عضد الدولة. وقد طلبه عضد الدولة بعد أن ملك بغداد وقتل عز الدولة فقبض عليه والقاه تحت أرجل الفيلة فقتل فأمر بصلب جثته فصلبت عند داره بباب الطاق ببغداد وذلك سنة ٣٦٧ هـ فرثاه أبو الحسن محمد بن عمران الأنبارى أحد العدول ببغداد بقصيدته المشهور التى مطلعها :

علو فى الحياة وفى الممات لحق تلك إحدى المعجزات

ويروى أن عز الدولة لما قصد سورية كان معه حمدان ابن ناصر الدولة الحمدانى فأغراه حمدان على أخذ الموصل من أخيه أبى تغلب بن ناصر الدولة (وكان مغاضباً لأخيه) فلما وصل تكريت أوفد إليه أبو تغلب رسولاً يسأله القبض على حمدان وأرساله إليه وأنه إذا فعل ذلك سار إليه بنفسه ليقاتل عضد الدولة ويعيده إلى ملكه فقبض بختيار على حمدان وسلمه إلى رسل أبى تغلب فحملوه إليه فحبسه ثم سار بختيار بعشرين ألف مقاتل وأجتمع بأبى تغلب عند حديثة ومن هناك زحفاً على عضد الدولة وانشبت الحرب بينهما فأنتصر عضد الدولة وأسر بختيار ثم قتله وفر أبو تغلب بأصحابه راجعاً إلى الموصل. فنقم عضد الدولة على أبى تغلب لخيانة العهد والولاء وسار إلى الموصل فرحل عنها أبو تغلب إلى نصيبين فتبعته جنود عضد الدولة حتى أضطر إلى الهرب إلى أرضروم ومنها إلى غيرها وسار

إلى سـورية وأخيراً قتل هناك وأنقرضت دولة الحمدانيين من الموصل بعد أن دامت نحو أربع وسبعين سنة أى منذ ولاية أبى الهيجاء عبد الله بن حمدان فى خلافة المكتفى سـنة ٢٩٣ هـ إلى أن استولى عضد الدولة عليها سنة ٣٦٧ هـ وطرد أبا تغلب ابن ناصر الدولة وضبط بلاده ولما تم الأمر لعضد الدولة فيها جعل عليها أبا الوفاء طاهر بن محمد وعاد هو إلى بغداد .

ولما تم أمر عضد الدولة فى العراق طمع فى الاستيلاء على البطيحة وأرسل جيشـاً بقيادة وزيره المطهر بن عبد الله فهزمه الحسين بن عمران ولما لم يكن المطهر هـزم قبلاً خاف سقوط منزلته عند عضد الدولة فقتل نفسه وعلى أثر ذلك صالح عضد الدولة أمير البطيحة الحسين على مال يأخذه منه كل عام .

وفى هـذه السنة ٣٦٧ هـ اعتقل عضد الدولة أبا إسحاق إبراهيم الصابى[1] الكـاتب المشـهور ببغداد وعزم على إلقائه تحت أيدى الفيلة فشفعوا فيه ثم أطلقه سـنة ٣٧١ هـ . وسبب ذلك هو أن إبراهيم كان كاتباً فى ديوان الإنشاء ببغداد عن الخليفة وعن عز الدولة بختيار بن معز الدولة ثم تقلد ديوان الرسائل سنة ٣٤٩ هـ وكـانت تصدر عنه رسائل إلى عضد الدولة بما يؤلمه فحقد عليه . ولما مات الصابى سنة ٣٨٠ هـ رثاه الشريف الرضى بقصيدة بديعة أولها :

أرأيت من حملوا على الأعواد أرأيت كيف خبا ضياء النادى

وبعد أن هدأت الأهوال شرع عضد الدولة فى عمارة بغداد فعمر جوامعها ومدارسـها وأسواقها وجدد ما أندثر من الأنهار التى حولها وذلك سنة ٣٦٩ هـ وكـانت قد خرجت المدينة من توالى الفتن والأضطرابات ومن الغرق الذى أصابها

---

(١) انظر : بغية الوعاة للسيوطى .

مراراً أثناء اشتغال حكوماتها وأهلها فى الحروب والثورات التى اشغلتهن عن تحكيم السداد وعن تعمير كل ما خرب.

وفتح عضد الدولة صدره للعلماء وناظرهم فى المسائل واكرمهم وشجعهم على نشر العلوم والفنون ورغب الناس فى الاشتغال بذلك ونشطهم على توسيع نطاق الزراعة والتجارة فزهت بغداد فى أيامه وتوفرت فيها الأموال وأمتلأ بيت المال وقصدها جماعات من رجال العلم صنفوا له كتباً عديدة فى علوم مختلفة فأشتهر ببغداد فى أيامه جماعة من العلماء والحكماء والأدباء والأطباء وغيرهم . وبنى فى سنة ٣٧١ هـ مارستاناً كبيراً على طرف الجسر فى الجانب الغربى من بغداد نقل عليه كل ما يلزم له من الأدوية والآلات ورتب له ٢٤ طبيباً وفيهم الجراحون والكحالون والمجبرون وممن كان يدرس صناعة الطب فيه الطبيب إبراهيم ابن بكس وكان رئيس هذا المارستان الشيخ أبو منصور صاعد بن بشر الطبيب وهو أول من عالج الأمراض التى كانت تعالج بالأدوية الحارة بالأدوية الباردة ولما نجح فى عمله عين رئيساً لهذا المارستان . وكان يسمى المارستان العضدى وهو مدرسة للطب ومستشفى معاً .

وفى هذه السنة ٣٧١ هـ أرسل عضد الدولة من بغداد القاضى أبا محمد ابن الطيب الأشعرى المعروف بابن الباقلانى سفيراً إلى قيصر الروم قسطنطين التاسع فسافر ابن الباقلانى إلى القسطنطينية يحمل جواب رسالة وردت على عضد الدولة من القيصر فى مسألة أدبية . وكان ابن الباقلانى هذا من أكبر رجال العلم والأدب فى العراق.

وأراد عضد الدولة أن تكون الخلافة فى ولد لهم فيه نسب فحمل الطايع على أن يتزوج بابنته فتزوجها على صداق مائة ألف دينار فجمع الخليفة بهذا

الـــزواج بين بنت عضد الدولة وبنت عز الدولة التى تزوجها قبلا على مثل ذلك الصداق .

وتوفى عضد الدولة ببغداد سنة ٣٧٣ هـــ بعد أن أتسع ملكه فحمل نعشه إلى مشـــهد الإمام على . وكان عاقلاً فاضلاً حسن السيرة والسياسة والتدبير محباً للعـــلوم والفنون والعمران سعدت فى أيامه بلاد العراق وعاش العراقيون تحت راية عدـــله بهناء وسلام وهو أول من ضرب الطبل على بابه وأول من عقد له الخليفة لوائين وأول من تسمى بملك فى الإسلام .

وقـــد أشـــتهر عضد الدولة شهرة فائقة وملك بلاداً كثيرة عداً العراق لأن عمـــه أبـــو الحسن على الملقب عماد الدولة الذى هو زعيم هذا البيت ومؤسس دولـــتهم كـــان قد تبناه لعدم وجود ولد له وأحضره عنده وأكرمه وأجلسه على سرير المملكة وأمر الجنود بطاعته وعهد إليه بالملك على فارس بعده فلما توفى سنة ٣٣٨ هـــــ أستولى عضد الدولة على بلاد فارس ثم أستولى بعد قليل على كرمان سنة ٣٥٧ هـــ وأقطعها لولده أبى الفوارس ولما مات أبوه ركن الدولة ٣٦٦ هـــ أستولى على ممالكه أيضاً ثم حدثت بينه وبين ابن عمه عز الدولة بختيار وحشة كما تقـــدم فأســـتولى على العراق ٣٦٧ هـــ ثم حمل فى السنة نفسها على الموصل وما يتـــبعها مـــن البلاد التى كانت لبنى حمدان فأستولى عليها أيضاً ثم وقعت بينه وبين أخوته وحشة فأستولى على أكثر ما بأيديهم من البلاد حتى عظم أمره (ومن وزرائه الصاحب ابن عباد الأديب الشهير . وكان مؤدب عضد الدولة العلامة أبو الفضل محمد بن العميد الملقب بالأستاذ المتوفى سنة ٣٦٠ هـــ) .

صمصام الدولة [1]

٣٧٣ هـ - ٣٧٧ هـ

وتولى بعد عضد الدولة أبنه صمصام الدولة أبو كاليجار فخلع عليه الخليفة على جرى العادة وخطب له على المنابر ولكنه لم يكن كأبيه فأساء السيرة مع العراقيين وطرح عليهم كثيراً من الرسوم حتى أن أهل بغداد كادوا يثورون عليه . فمن ذلك أنه لما احتاج إلى المال سنة ٣٧٥ هـ ضرب ضريبة على ثياب الحرير والقطن التى تنتج فى بغداد ونواحيها وأمر بإحصاء ما سيجىء من تلك الضريبة فبلغت مليون درهم فى السنة وعلى أثر صدور هذا الأمر ثار أهل بغداد واجتمعوا فى جامع الخلفاء وعزموا على الامتناع من صلاة الجمعة فاضطربت الأحوال وأضطر صمصام الدولة إلى لغو هذه الضريبة .

ولما كانت سنة ٣٧٣ هـ حدثت وحشة بين صمصام الدولة وبين أخيه شرف الدولة أبى الفوارس وكان الثانى عالماً بعدم رضاء أهل بغداد وجنودها على صمصام الدولة وكرهم له وشغبهم عليه لسوء تدبيره فأغتنم فرصة ذلك الأضطراب وزحف من الأهواز على العراق بخمسة عشر ألف مقاتل من الديلم فأستولى على البصرة وولى عليها أخاه أبا الحسين ثم ولى عليها أبا طاهر ابن عضد الدولة .

---

(١) انظر : الكامل فى التاريخ وتاريخ الطبرى .

فبلغ ذلك صمصام الدولة فأرسل لقتاله جيشاً بقيادة الأمير أبي الحسن بن دبعش فجهز شرف الدولة له جيشاً بقيادة الأمير دبيس بن عفيف الأسدى فانهزم جيش صمصام الدولة وأسر قائده . ثم ولى فى سنة ٣٧٤ هـ حماية الكوفة أبا طريف عليان بن ثمال الخفاجى. وعلى أثر ذلك فى سنة ٣٧٥ هـ عصى بالبصرة أبو طاهر ابن عضد الدولة وأستقل بها فأرسل شرف الدولة جيشاً فأنتصر عليه وقبض على أبي طاهر . ولما رأى صمصام الدولة قوة شرف الدولة أرسل يطلب الصلح فأستقر بينهما على أن يخطب لشرف الدولة بالعراق قبل صمصام الدولة ويكون صمصام الدولة نائباً عنه . فلما كانت سنة ٣٧٦ هـ عادت الفتن بينهما فسار شرف الدولة بجيوشه حتى وصل واسطاً واستولى عليها .

فشغب الجند ببغداد على صمصام الدولة وأجمعوا على تسليم الملك إلى أخيه شرف الدولة وكتبوا إليه يستقدمونه فخاف صمصام الدولة اتساع الخرق فسار بجماعة من رجاله إلى واسط ليصالح أخاه فلما التقى به طيب قلبه وأكرمه ولما أراد الرجوع إلى بغداد وخرج من منزل شرف الدولة قبض عليه وأعتقله وسار نحو بغداد ومعه أخوه المعتقل فدخلها بدون حرب وذلك فى رمضان سنة ٣٧٧ هـ .

وفى أيامه قويت شوكة باذ الكردى الحميدى وكان قد أستولى على ديار بكر وميافارقين ونصيبين فأرسل صمصام الدولة جيشاً لقتاله فأنتصر باذ بعد عدة معارك ثم استولى على الموصل فى سنة ٣٧٣ هـ وأقام فيها وقوى أمره حتى طمع فى بغداد فخافه صمصام الدولة فأرسل جيشاً كثيفاً بقيادة زياد بن شهر اكويه الديلمى فدارت بينها رحى الحرب فى سنة ٣٧٤ هـ فأنكسر باذ وانهزم بأصحابه وعادت الموصل إلى البهيويين .

شرف الدولة [1]

٣٧٧ هـ - ٣٧٩ هـ

دخل شرف الدولة بغداد فركب إليه الخليفة الطايع وهنأه وعهد إليه بالسلطنة وتوجه والبسه سوارين وخلع عليه وأمر فقرئ عهده وخطب له على المنابر وصار لقب السلطان بدلاً من لقب أمير الأمراء فأحسن شرف الدولة السيرة ووجه نظره إلى أحوال المملكة وشرع يصلح ما أفسدته الفتن المتوالية فرد الأملاك المغصوبة إلى أهلها . منها أموال النقيب أبو أحمد والد الراضى وأموال الشريف محمد بن عمر الكوفى . وأقر على الناس مراتبهم ثم وجه نظره إلى تشجيع العلوم والفنون وبنى رصداً فى طرف بستان دار المملكة ببغداد وجمع فيه الفلكيين وأمرهم برصد الكواكب فرصدوها له منهم أبو سهل ويجن الكوهى وذلك سنة ٣٧٩ هـ واكرم هذا السلطان العلماء وقربهم ولم يحدث فى أيامه بالعراق ما يخل بالنظام غير حادثتين وقعتا فى بغداد الأولى أن عساكره الذين كانوا نحو الخمسة عشر ألفاً من الديلم استطالوا على جنود الأتراك الذين كانوا فى المدينة وحدثت بينهم منازعة عن دار واصطبل وآلت المنازعة إلى القتال داخل بغداد فأنتصر الديلم لكثرتهم وأنخذل الأتراك لأنهم كانوا يوم ذاك ثلاثة آلاف رجل فنادى الديلم بإعادة صمصام الدولة إلى الملك فارتاب منهم شرف الدولة ووكل بصمصام الدولة من يقتله أن هموا بذلك .

---

(١) انظر المزيد فى : مروج الذهب للمسعودى .

ولما أخذل الأتراك لقلتهم ورأوا أنفسهم غير قادرين على الانتقام من الديلم لكثرتهم التجؤا بالأهلين من السنة فأتفقوا معهم فأنتصروا على الديلم بمساعدتهم وفتكوا بهم وشتتوهم فأعتصموا بشرف الدولة فأصلح بينهم وحلف بعض لبعض . وعلى أثر هذه الحادثة أرسل شرف الدولة أخاه صمصام الدولة مسجوناً إلى بلاد فارس فأعتقل هناك .

أما الثانية فهى أن قائد الجيوش قراتكين الذى كان قد أفرط فى الدولة حتى صار حملاً ثقيلاً على شرف الدولة حدثت بينه وبين منصور بن صالحان وزير شرف الدولة وحشة فأغرى الجنود بالشغب على الوزير فثاروا عليه وأسمعوه ما يكره فأنبسط لهم الوزير ولاطفهم فسكنوا فأصلح شرف الدولة بين الوزير والقائد وشرع سراً فى تدبير الخلاص من القائد حتى تمكن بعد أيام قليلة من القبض عليه وعلى جماعة من أنصاره وصادر أموالهم فشغب الجند فقتل شرف الدولة القائد وولى مكانه طغسان الحاجب فسكن الجيش وأخلد إلى السكون وتوفى شرف الدولة ببغداد سنة ٣٧٩ هـ .

وفى هذه السنة (سنة ٣٧٩ هـ) أستولى على الموصل أبو طاهر إبراهيم وأبو عبد الله الحسين ابنا ناصر الدولة ابن حمدان .

بهاء الدولة [1]

٣٧٩ هـ - ٤٠٣ هـ

وتولى الأمر بعد شرف الدولة أخوه أبو نصر بهاء الدولة بن عضد الدولة فركب الخليفة الطايع إليه ودخل عليه بعزبة بأخيه فقبل أبو نصر الأرض بين يدى الخليفة وأظهر له احتراماً عظيماً ثم عاد الخليفة إلى قصره فحضر عنده الوجوه والأمراء والعلماء وأبو نصر فخلع عليه الخليفة سبع خلع وطوق عنقه بطوق كبير من ذهب والبسه سوارين من الذهب ومشى الحجاب بالسيوف بين يديه فقبل الأرض بين يدى الخليفة وجلس على كرسى أعد له فقيء عهده ولقبه الخليفة بهاء الدولة .

ولما تم الأمر لبهاء الدولة استخلف على بغداد أبا ناصر خواشاذه وسار هو منها إلى جرجان سنة ٣٨٠ هـ وملكها وجرت بينه وبين صمصام الدولة الذى فر من السجن بعد وفات شرف الدولة حروب عديدة ثم اصطلحا وعاد بها الدولة على بغداد .

وفى أثناء غياب بهاء الدولة حدثت ببغداد فتن عديدة تارة بين الديلم والأتراك وأخرى بين السنة والشيعة فلما عاد أصلح ما أفسدته تلك الفتن وبينما هو يصلح ما فسد إذ شغب الجند عليه لتأخير مرتباتهم فأحتاج إلى المال فأغراه أبو الحسن بن المعلم - وكان مقرباً عنده - بالقبض على الخليفة الطايع وأطمعه فى أمواله . وصادف أن الخليفة كان قد حبس رجلاً من خواص بهاء الدولة فأغتاظ

---

(١) انظر المزيد فى : الكامل فى التاريخ .

منه وأضمر له السوء وأرسل إليه فى الحضور عنده فجلس الخليفة حسب العادة على سريره متقلداً سيفه فجاء بهاء الدولة ومعه جماعة من حاشيته فقبل الأرض بين يدى الخليفة وبينما هم جلوس تقدم رجاله إلى الخليفة وجذبوه من سريره ولفوه فى كساء وصعدوا به إلى دار السلطنة وهو يستغيث ويقول : إنا لله وإنا إليه راجعون، فحبسوه وأخذ بهاء الدولة كل ما كان فى قصره وأنفقه على الجند فأضطربت بغداد لهذه الحادثة . وكان الشريف الرضى ببغداد فقال فى ذلك أبياتاً منها :

من بعد ما كان رب الملك مبتسما ... إلى ادنوه فى النجوى ويدنينى
أمسيت اراحم من قد كنت اغبطه ... لقد تقارب بين العز والهون
ومنظر كان بالسراء يضحكنى ... يا قرب ما عاد بالضراء يبكينى
هيهات اغتر بالسلطان ثانية ... قد ضل ولاج ابواب السلاطين

وهب الناس بعضهم ونقموا على بهاء الدولة ولكنه لم يبال بهم وأجبر الطايع على خلع نفسه وأشهد عليه بالخلع وأنفذ جماعة من الوجوه إلى البطيحة لإحضار أبى العباس أحمد بن الأمير إسحاق بن المقتدر بالله فأحضروه إلى بغداد وخرج لاستقباله بهاء الدولة والأمراء والعلماء والوجوه وأدخلوه قصر الخلافة وبايعوه ولقبوه القادر بالله (٣٨١ هـ - ٤٢٢ هـ) ولما تمت البيعة حمل الطايع المخلوع إلى قصر القادر بالله فبقى مكرماً إلى أن مات.

وكان القادر هذا عالماً فاضلاً أديباً شاعراً فتمكن بحسن سيرته وتدبيره من إرجاع بعض مجد الخلافة .

وفى عهد بهاء الدولة سنة ٣٨١ هـ بنى وزيره سابور بن أردشير مكتبة كبيرة على مثال بيت الحكمة الذى أنشأه هارون الرشيد وزاد فيه عبد الله المأمون. بناها فى محلة بين السورين فى الجانب الغربى من بغداد وسماها دار العلوم وجعل فيها

من الكتب الخطية النفيسة أكثر من عشرة آلاف كلها بخطوط الأئمة ورجال العلم فكـــانت أشـــهر مكتبة في بغداد بل كانت مجمعاً للعلماء والأدباء والفلاسفة من عراقيين وغيرهم (وقد أخرقت هذه المكتبة فيما احترف من محلات الكرخ يوم مجئ طغرل بك أول ملوك السلجوقية إلى بغداد سنة ٤٤٧ هـــ) .

وفي هـــذه السنة (سنة ٣٨١ هـــ) استولى على الموصل أبو الذؤاد محمد ابـــن المســـيب أمير بني عقيل وهو رأس دولة بني عقيل أول دولة بني المقلد أو آل المســـيب في الموصل ولما تم أمره فيها كتب على بهاء الدولة يخبره بذلك ويسأله أن يـــنفذ إليـــه من يقيم عنده من أصحابه يتولى الأمور (كنائب) فأرسل إليه قائداً من قـــواده. ثم استبد أبو الذؤاد بالأمور كلها فأرسل بهاء الدولة أبا جعفر الحجاج بن هرمـــز بعسكر كثير لقتاله فوصل الموصل وطرد ابا ذؤاد وملكهـــا . ثم درات بين أبي ذؤاد وبين عـساكر بهاء الدولة عدة معارك انجلت بفوز البويهيين .

ولما توفي أبو الذؤاد سنة ٣٨٧ هـــ سار أخوه المقلد إلى الموصل واستمال بعض الجنود الديلمية وكتب إلى بهاء الدولة يضمن منه الموصل وأعمالها بملونين من الدراهم وفي أثناء ذلك حمل على الموصل فانهزم منها سراً أبو جعفر عامل بها الدولة وسار إلى بغداد فدخلها المقلد وتم أمره فيها .

وفي الوقت نفسه كان المقلد يتولى حماية غربي الفرات من أرض العراق وله عـــليها نائب . ولما كان بهاء الدولة مشغولاً في محاربة أعوان أخيه صمصام الدولة جرت بين نائب المقلد وبين أصحاب بهاء الدولة مشاجرة فسار المقلد منتصراً لنائبه فـــدارات رحى الحرب بين المقلد وبين جنود بهاء الدولة فلما سمع بهاء الدولة بذلك أرســـل أبـــا جعفـــر الحجاج إلى بغداد وأمر بمصالحة المقلد خوفاً من آثارة الحرب فراســـل أبـــو جعفر المقلد واستقر الصلح بينهما على أن يحمل المقلد عشرة آلاف ديـــنار إلى بهـــاء الدولة سنوياً وأن يخطب له في البلاد ثم خلعت على المقلد الخلع

السلطانية ولقب بحسام الدولة . وأقطع الموصل والكوفة والقصر (قصر شيرين) والجامعين (الحلة) غير أن المقلد لم يحمل من المال إلا قليلاً ثم قطعه وعظم شأنه وخافه البويهيون وغيرهم .

وفى أيامه فى سنة ٣٨٦ هـ حمل على البصرة أحد قواد صمصام الدولة البويهى اسمه لشكرستان فقاتله نواب بهاء الدولة فأنتصر عليهم بمعاضدة جماعة من البصريين منهم أبو الحسن ابن أبى جعفر العلوى ودخل البصرة ظافراً فى هذه السنة ولما دانت البصرة لهذا القائد شره فى أموال الناس فأبتزا أموال المثرين وفتك بجماعة كبيرة من البصريين . فهاجر منها عدد كبير ومكث لشكرستان بالبصرة أكثر من شهر فزحف عليه أمير البطيحة مهذب الدولة أبو الحسن على بن نصر وكان تحت سيادة بهاء الدولة فلما اقترب من البصرة فر منها لشكرستان .

فدخلت سنة ٣٩٠ هـ وكانت أحوال العراق هادئة فارتآ بهاء الدولة أن يقيم فى الأهواز (خوزستان) فأستخلف على العراق ببغداد [1] فلما كانت سنة ٣٩١ هـ جمع لشكرستان جيشاً كبيراً فأعاد الكرة على البصرة فدخلها عنوة وأعاد الظلم والسلب وصادر أملاك أكثر الوجهاء وقتل بعضهم ففر كثيرون من أهلها إلى بلاد أخرى .

ولما كانت سنة ٣٩٤ هـ جهز مهذب الدولة جيشاً قوياً وأرسله بقيادة أحد قواده أبى العباس بن واصل لقتال لشكرستان وطرده من البصرة وبعد معارك دامت أكثر من شهرين انهزم لشكرستان بمن معه فأستولى أبو العباس على البصرة وذلك فى سنة ٣٩٥ هـ وقتل فى هذه الفتنة نحو الخمسة آلاف من الفريقين. فلما أستتب أمر أبى العباس بالبصرة خلع طاعة مهذب الدولة واستبد بالأمور فأرسل

---

[1] ومنذ ذاك أخذ الملوك البويهيون أصحاب العراق يقيمون بخوزستان ويستخلفون على العراق رجلاً من خاصتهم يقيم ببغداد .

مهـــذب الدولة لطرده منها جيشاً ففشل ثم جهز له جيشاً ثانياً بقيادة أبى سعيد بن مـــاكولا ففشل أيضاً وقوى أمر أبى العباس فقصد البطيحة وبعد قتال أستولى على أكثرها وفى أثناء ذلك أضطربت عليه البلاد فخاف على نفسه فترك البطيحة وعاد إلى البصرة .

كل ذلك جرى فى البصرة وأطرافها وبهاء الدولة مقيم بالأهواز فلما بلغته قوة أبى العباس وأستبداده بالبصرة خاف عاقبة أمره فأحضر عنده عميد الجيوش من بغداد وجهز له جيشاً كبيراً وسيره لقتال أبى العباس فهزمهم أبو العباس وأستمرت الحـــرب بينه وبين جيوش بهاء الدولة مدة ثم حمل عليه بهاء الدولة بخمسة عشر ألف مقـــاتل فأندحر جيشه وعاد بالفشل فطمع أبو العباس بالأهواز فحمل بجيشه عليه فدحرته جيوش بهاء الدولة وعاد بالخسران وعلى أثر هذه الهزيمة زحف بهاء الدولة بجيـــوش كـــثيرة عـــلى البصرة فأنتصر على أبى العباس ثم حاصر المدينة أربعة أيام فأستولى عليها عنوة وقبض على أبى العباس فقتله وذلك فى سنة ٣٩٧ هـــ .

ثم ولى على البصرة الوزير أبو غالب وعاد هو إلى الأهواز.

وبقى عميد العراق (ويروى عميد الجيوش) أبو على بن جعفر ببغداد نائباً عـــن بهاء الدولة حتى مات سنة ٤٠١ هـــ فولى مكانه بهاء الدولة أبا غالب ولقبه فخـــر الملك فظل هذا ببغداد نائباً على العراق حتى مات بهاء الدولة سنة ٤٠٣هـــ بأرجـــان وحمل نعشه إلى بغداد ومنها نقل إلى مشهد الإمام على ودفن هناك . وممن تولى ديوانه ببغداد على بن محمد الكاتب وهو الذى صنف له المنشور البهائى وهو نثر كتاب الحماسة .

سلطان الدولة ابن بهاء الدولة [1]

٤٠٣ هـ - ٤١١ هـ

وتولى بعد بهاء الدولة أبنه أبو شجاع سلطان الدولة فأبقى فخر الملك ببغداد نائباً على العراق وولى البصرة جلال الدولة أبا طاهر بن بهاء الدولة ثم غضب سلطان الدولة على فخر الملك لأنه خالفه فى بعض الأمور فأمر بالقبض عليه فى سنة ٤٠٦ هـ فأرسل مخفوراً من بغداد إلى شيراز فقتله هناك وولى على العراق أبا محمد الحسن بن سهلان ولقبه عميد الجيوش فبقى هذا مقيماً فى بغداد يدير أمور العراق على سنة ٤١١ هـ .

وفى أيام سلطان الدولة توفى ببغداد الشريف الرضى الحسن بن محمد فى سنة ٤٠٤ هـ وكان عالماً فاضلاً وشاعراً مفلقاً وكاتباً بليغاً تولى نقابة الطالبين فى سنة ٣٥٩ هـ ثم ضمت إليه الأعمال التى كان يليها أبوه وهى النظر فى المظالم والحج بالناس. وكان له من سمو المقام ما دعاه أن يكتب إلى الخليفة القادر بالله من قصدية طويلة :

عطفاً أمير المؤمنين فأننا ... فى درجة العلياء لا نتفرق
ما بيننا يوم الفخار تفاوت ... أبداً كلانا فى المعالى معرق
إلا الخلافة ميزتك فأننى ... أنا عاطل منها وأنت مطوق

وجاء سلطان الدولة إلى بغداد فى سنة ٤٠٧ هـ وأقام بها أياماً ثم سار منها لقتال أخيه أبى الفوارس مشرف الدولة ولم يرجع إلى بغداد إلا فى سنة ٤١١ هـ

---

(١) انظر المزيد فى : مروج الذهب .

بعـــد أن تم الصـــلح بينه وبين أخيه المذكور . وما كادت قدماه تستقر ببغداد إلا وثارت عليه الجنود فيها . ونادوا بولاية أخيه مشرف الدولة فأسكنهم بالمال وعزم عـــلى الذهـــاب إلى واســـط فطلبوا منه أن يستخلف مشرف الدولة على بغداد فأستخلفه كرهاً وسار على واسط ثم عزم على المسير إلى خوزستان فأستخلفه على العـــراق كلـــه بعـــد أن تحالفا أن لا يستخلف أحد منهما أبا سهلان . فلما وصل سلطان الدولة إلى مشتر أستوزر ابن سهلان وسيره بالعساكر لحرب مشرف الدولة وأخـــرجه من العراق فأغتاظ مشرف الدولة وأتحد مع الأتراك وجهز جيشاً جراراً مؤلفـــاً من الأتراك والديلم والتقى بالوزير قرب واسط وبعد معارك أنهزم الوزير وتحصـــن بواســـط فحاصره مشرف الدولة حتى اضطره إلى الفرار بمن معه فدخلها مشرف الدولة وأعلن استقلاله فى العراق .

وفى أيـــام ســـلطان الدولة هذا أسست فى العراق الدولة المزيدية فى أرض الحـــلة فى سنة ٤٠٣ هـــ أسسها أبو الحسن على بن مزيد من بنى أسد وتولى بعده أبـــنه دبيس سنة ٤٠٨ هـــ بعهد منه ثم حدثت بينه وبين أخيه الأكبر المقلد فتنة فى ســـنة ٤١٦ هـــ فأنتصر بنو عقيل للمقلد وأمده جلال الدولة أيضاً فأنهزم وأخيراً وقـــع الصـــلح بيـــنه وبين جلال الدولة وتعهد دبيس بدفع المال المقرر فى ولايته واســـتقام أمره ثم حدثت فى سنة ٤٢٤ هـــ بينه وبين أخيه الآخر ثابت فتنة فأمد ه البساســـيرى ثابـــتاً فتمكن ثابت من التغلب على ملك دبيس ثم أنتصر دبيس على ثابت بمساعدة خفاجة وعاد إلى ملكه (ولم تكن الحلة حينئذ بنيت) ثم تصالحا على أن يكون لثابت بعض الأعمال ودامت الدولة ١٤٢ سنة تقريباً أى من (سنـــــة ٤٠٣هـــ - سنة ٥٤٥ هـــ) .

وأول ملوكها أبو الحسن على بن مزيد وآخرهم على بن دبيس بن صدقة. (انقرضت فى عهد السلطان مسعود السلجوقى) .

مشرف الدولة

ابن بهاء الدولة

٤١١ هـ - ٤١٦ هـ

تقدم ما جرى بين سلطان الدولة وبين أخيه مشرف الدولة وكيف استولى الثانى على العراق وأعلن استقلاله . ولكنه بعد انتصاره على جيوش أخيه سلطان الدولة دخل بغداد بجيش كبير من الديلم فخرج الأهلون لاستقباله وهابه الناس كثيراً فعظم أمره وعلا شأنه وخوطب بشاهنشاه (ملك الملوك) وخطب له بالملك على المنابر وأستمر ملكه على العراق إلى أن توفى ببغداد سنة ٤١٦ هـ .

وفى أول عهده أزداد استبداد قرواش فى البلاد فعزم مشرف الدولة على محو إمارته وأخذ البلاد منه (الموصل والكوفة والأنبار وغيرها) فحرك عليه بنى أسد وأمدهم بالجند والمال فساروا إلى قرواش وقاتلوه وبعد معارك أنهزم قرواش برجاله وتبعه بنو أسد حتى أدركوه وأسروه وسلموه إلى مشرف الدولة فضبط مشرف الدولة بلاد قرواش وأسره وبعد أيام قليلة من الأسر ثم كتب إلى مشرف الدولة يسأله الصفح فأبى ذلك .

ولم يحدث شيء فى أيام مشرف الدولة فى العراق شيء يذكر غير ما تقدم .

جلال الدولة

ابن بهاء الدولة

٤١٦ هـ - ٤٣٥ هـ

وتولى بعد شرف الدولة أخوه أبو طاهر جلال الدولة وكان ضعيف الرأى سيىء التدبير من ذلك أنه لما بويع بالملك وهو يومئذ فى البصرة (وكان عليها منذ أيام سلطان الدولة) طلب الجيش قدومه إلى بغداد فأمتنع فخرجوا عن طاعته وقطعوا خطبته وخطبوا لابن اخيه أبى كاليجار بن سلطان الدولة الذى ملك فارس بعد ابيه فلما علم جلال الدولة بذلك ولى على البصرة أبا الفتح محمد بن أردشير وسار نحو بغداد فخرج غليه جيشها ليرده فقاتله وأنتصر عليهم ودخل بغداد فخرج الخليفة لاستقباله وقلده السلطنة على ما جرت به العادة ، ومنها أن الجيش ثار عليه ببغداد سنة ٤١٩ هـ بسبب قطع مرتباتهم وحصروه فى داره ومنعوا عنه الماء فأضطر إلى بيع حلى نسائه وثيابه وفرق ثمنها على الجيش. ثم ثاروا عليه ثانية سنة ٤٢٢ هـ وشغبوا عليه فدخل قصره وأغلق أبوابه فجائت الأتراك ونهبوا قصره وسلبوا كتابه وأرباب دواوينه فاضطر إلى الخروج من بغداد فسار منها إلى عكبرا [1] فخطب الاتراك للملك ابى كاليجار ابن سلطان الدولة وأرسلوا إليه

---

[1] عكبرا من بلاد العراق القديمة كانت بين بغداد وسامرا على عشرة فراسخ من بغداد وتكتب عكبرا وعكبرى وعكبره .

يطلبونه وهو يومئذ بالأهواز فلم يجبهم فأعدوا خطبة جلال الدولة وسار زعمائهم إليه وسألوه الرجوع إلى بغداد وأعتذروا عما فعلوه فعاد إلى بغداد بعد ٤٣ يوماً.

وفى أول عهده تزلف له قرواش (ابن أبى جعفر المقلد الملقب بحسام الدولة) وأخلص له فأعاده إلى ملكه. وبعد مدة أستبد قرواش بالبلاد وأستأثر بجبايتها ثانية وأمتنع عن مراجعة جلال الدولة فى الأمور فثار عليه جلال الدولة وبنى أسد وخفاجة وأمدهم بالجند والمال فالتقوا بقرواش قرب الكوفة وبعد عدة معارك هرب قرواش إلى الأنبار فطاردوه حتى بلغ الموصل وتحسن فيها سنة ٤١٧ هـ وفى تلك الأثناء ثارت الفتن والأضطرابات فى داخلية بلاد البويهية واشتغل البويهيون فى أحقادها فأغتنم قرواش تلك الفرصة وعاد إلى بلاده .

ولسوء تدبيره وضعف رأيه كثرت الفتن فى بغداد وتوالى فيها شغب الأتراك وعظم أمرهم فيها وكثر المفسدون واللصوص وانتشر الأعراب فى البلاد فنهبوا النواحى والقرى وقطعوا الطرق وبلغوا أطراف بغداد حتى وصلوا على جامع المنصور وسلبوا ثياب النساء فى المقابر . بل أن الفوضى عمت فى أيامه جميع البلاد العراقية وكثر السلب والنهب والقتل وضعف أمر الدولة البويهية فى العراق وخصوصاً بغداد حتى حاول البغداديون ترك وطنهم لعدم الأمن وشيوع الفوضى فى المدينة وما يليها ولكنهم لم يجدوا إلى ذلك سبيلاً لانقطاع الطرق وانتشار اللصوص فى كل الجهات حتى أن جماعة من الأكراد نهبوا دواب بعض الجنود ونهبوا ثمرة قراح (مزرعة) الخليفة القائم فلم يتمكن جلال الدولة من القبض عليهم لعجزه فعظم ذلك على الخليفة وأضطر أن يعدد فأمر القضاة والفقهاء بالإضراب عن العمل بترك القضاء والفتوى ففعلوا فلما لم يحصل الخليفة على شىء أمر بترك الإضراب .

وحدثـــت فى أيامـــه فى سنة ٤١٩ هـــ فتن عظيمة بين الديلم والأتراك فى البصرة وأخيراً انتصر الأتراك وقوى أمرهم فيها وأخرجوا الديلم منها . فلما كانت ســـنة ٤٢٠ هـــ أرسل أبو كاليجار بن سلطان الدولة جيشاً بقيادة بختيار وأمره أن يـــأخذ البصرة فأستولى عليها وطرد منها حاكمها الملك العزيز أبا منصور بن جلال الدولة ونهب الديلم أسواق المدينة . ودام النهب سبعة أيام وصودرت أموال التجار وتـــلفت نفوس كثيرة فأرسل جلال الدولة وزيره أبا على بن ماكولا بجيش كبير فى ســـنة ٤٢١ هـــ فسار إليها أبو على فى ٤٠٠ سفينة ومعه عبد الله الشرابى وبعد قـــتال مـــع بختيار أندحر أبو على ووقع أسيراً فلما علم جلال الدولة بمصير جيشه جهـــز جيشاً ثانياً فأنتصر جيشه واستولى على البصرة وعلى أثر ذلك حدث نزاع بـــين عســـاكر جلال الدولة فتفرقوا فعاد القائد بختيار إلى البصرة واسترجعها لأبى كاليجار فجهز جلال الدولة جيشاً آخر فى سنة ٤٢٤ هـــ أرسله بقيادة ابنه الملك العزيز وكان فى تلك الأثناء على البصرة أبو القاسم من قبل أبى كاليجار وكان قد اســـتبد بهـــا وعصى عليه فلما أقتربت منه جيوش جلال الدولة سلم البصرة بدون حرب ولكنه بقى كمساعد للملك العزيز فى تدبير شئون البصرة وبعد قليل حدث بينهما خلاف أدى إلى وقوع معارك بينهما داخل المدينة وكانت النتيجة طرد الملك العزيـــز من البصرة. ثم أعطيت هذه المدينة بالضمان لأبى القاسم على أن يدفع فى كل سنة سبعين ألف دينار على أبى كاليجار.

فـــلما كـــانت سنة ٤٣٠ أمتنع أبو القاسم من تسليم المال إلى أبى كاليجار وصار تارة ينحاز إلى جلال الدولة وأخرى إلى أبى كاليجار فحمل عليه أبو كاليجار بجيـــش كـــبير فى سنة ٤٣١ هـــ وبعد قتال حاصر البصرة حصاراً شديداً فأستولى عـــليها عنوة وأعطاها بالضمان إلى أبنه عز الملوك على أن يدفع له سنوياً مائة ألف

دينـــار وجعل معه مساعداً أبا الفرج بن فسانجس . وظلت البصرة فى قبضته مدة (ثم خرجت من يد البويهين حينما زال ملكهم من العراق) .

ومع عجز جلال الدولة وضعفه لقب فى سنة ٢٥٩ هـــ بملك الملوك .

وفى أيامه توفى الخليفة القادر بالله فبويع لابنه أبى جعفر عبد الله ولقبوه القائم بأمر الله (٤٢٢ هـــ - ٤٦٧ هـــ) فضيق جلال الدولة على القائم بأمر الله حتى أنـــه أخذ منه فى سنة ٤٣٤ هـــ أموالاً كنت مقررة للخلفاء من ذى قبل فحدثت بينهما وحشة دامت إلى أن مات جلالة الدولة ببغداد فى ٦ شعبان سنة ٤٣٥ هـــ بعـــد أن ملك ستة عشر سنة وإحدى عشر شهراً، أو كانت أيامه مشحونة بالفتن والحروب مع أبناء أعمامه منازعيه فى الملك تارة ومع الأمراء أخرى .

أبو المنصور
وأبو كاليجار
٤٣٥ هـــ - ٤٤٠ هـــ

ولمـــا مات جلال الدولة كان ابنه الأكبر الملك العزيز أبو المنصور فى مدينة واســـط فبويع له ببغداد وكتبت إليه الجيوش بالبيعة والطاعة وطلبوا منه القدوم إلى بغداد وشرطوا عليه تعجيل حق البيعة (إكرامية أو بخشيش) وبلغ خبر مبايعته الملك أبـــا كالـــيجار الـــبويهى المستولى على فارس فأخذ يراسل القواد والجند ويعدهم بالأموال الكثيرة وكثرة العطاء حتى استمالهم إليه . وكان أبو المنصور قد أخر حق الـــبيعة الـــذى أشترطه الجند عليه فعدلوا عنه ومالوا إلى أبى كاليجار وكتبوا إليه يسألونه القدوم إليهم وقطعو خطبة أبى المنصور وأعلنوا بيعة أبى كاليجار وخطبوا له

عـــلى المـــنابر. فلما علم أبو المنصور بذلك خاف الغدر فسار فى سنة ٤٣٥ هـــ مستجيراً بقرواش وبنصر الدولة بن مروان وبقى مقيماً عند نصر الدولة حتى مات فى ميافارقين .

أما الملك أبو كاليجار فأنه بعد أن أستوثق من الجند واستقرت القواعد بينه وبيـــنهم وتيقن من البيعة له أرسل أموالاً طائلة إلى الجند وأهدى إلى الخليفة عشرة آلاف دينار مع تحف كثيرة نفيسة ثم سار فى سنة ٤٣٦ هـــ إلى بغداد فدخلها بمائة فارس من أصحابه وخلع على القواد، وأجرى له الخليفة المراسم المعتادة ولقبه محيى الدين . وتم الأمر لأبى كاليجار فى العراق وفارس وخطب له على المنابر بالملك .

وفى أيـــام أبى كاليجار حدثت حرب بين قرواش وبين أخيه بدران فصالح قـــرواش أخاه بدراً وأعطاه نصيبين وعلى أثر ذلك حمل الأمير منيع الخفاجى على إقطاع قروش التى على سقى الفرات فضبطها منه وخطب فيها للملك أبى كاليجار وذلـــك فى سنة ٤٣٥ هـــ وفى أيامه قوى أمر السلجوقيين الأتراك وأنتزعوا البلاد مـــن بنى بويه وعظم شأن زعيمهم أبو طالب محمد بن مكائيل بن سلجوق الملقب ركـــن الديـــن طغرك بك فخافه أبو كاليجار وكتب إليه يسأله الصلح فى ســـنة ٤٣٩ هـــــ فأجابه إليه وكتب إليه طغرك بك إلى أخيه الملك داود بعدم التعرض بمـــلكة أبى كاليجار ثم استقر الحال بينهما على أن يتزوج طغـــــــرك بك بنت أبى كالـــيجار ويتزوج المنصور بن أبى كاليجار بنت الملك داود أخرى طغرك بك وجرى ذلك الزفاف فى السنة نفسها ٤٣٩ هـــ ، ولما كانت سنة ٤٤٠ هـــ سار أبو كاليجار إلى كرمان فمات فى الطريق بعد أن ملك العراق أربع سنوات وشهرين وبضعة أيام .

الملك الرحيم

٤٤٠ هـ - ٤٤٧ هـ

هو أبو نصر بن أبي كاليجار كان ببغداد يوم مات أبوه في طريق كرمان فأجتمع رجال الدولة في دار الإمارة فبايعوه بالملك وحلف له الجيش بالطاعة. فأرسل أبو نصر إلى الخليفة القائم يطلب منه الخطبة وتلقيبه بالملك الرحيم . فأجابه الخليفة إلى ما طلب إلا اللقب فأنه أمتنع من أجابته عليه قائلاً : لا يجوز أن يلقب بأخص صفات الله ، فترددت الرسل والرسائل بينهما من أجل ذلك وأصر الخليفة على رفض اللقب فلقبه أصحابه به رغم إرادة الخليفة ، وظل هذا اللقب عليه ودانت له بلاد العراق وخوزستان (الأهواز).

وهو الذى أقطع الأمير دبيس بن على بن مزيد حماية نهر الصلة ونهر الفضل فى سنة ٤٤١ هـ وكانت من إقطاع جند واسط فغضبوا وزحفوا على دبيس فأنتصر عليهم وفتك بهم وغنم أموالهم فأنهزموا راجعين إلى واسط [١].

وفى أيامه عصى أبو على بن أبي كاليجار أمير البصرة فحمل عليه الملك الرحيم فى سنة ٤٤٥ هـ وحاربه فأنتصر عليه وتحصن أبو على فى البصرة وكان

---

(١) ودامت هذه الإمارة إلى سنة ٥٤٥ هـ وآخر من ملك من هذا البيت على بن دبيس ابن صدقة وهم الذين بنو مدينة الحلة وكان لهم شأن كبير فى العراق وأشهرهم صدقة ابن منصور الملقب سيف الدولة وابنه دبيس وعلى بن دبيس .

البصـــريون قد كرهوه لسوء سيرته وتجبره وظلمه فأنحاز والى الملك الرحيم وثاروا عـــلى الأمير فطردوه وسلموا المدينة إلى الملك الرحيم فى سنة ٤٤٦ هـــ وبعد أن دبر شؤونها ولى عليها البساسيرى .

وفى أيامـــه حدثت ببغداد فتن كثيرة بين السنة والشيعة قتل فيها خلق كثير مـــن الطـــرفين ولم تتمكن الحكومة من قمع تلك الفتن . بل أنها لم تتمكن من قمع الفـــتن الـــتى كانت تقوم تارة من أجل المناصب وأخرى بسبب الاختلاف المذهبى الذى هو من أكبر أسباب انقراض هذه الدولة . ولمن تنته الفتن بين السنة والشيعة حـــتى قـــامت بينهما فتنة كبيرة فى سنة ٤٤٣ هـــ قتل فيها من الطرفين عدد كثير فيهـــم مدرس الحنفية أبو سعيد الرحبى وأحترقت فى هذه الفتنة المخزنة دور الفقهاء وضـــريح الإمام موسى بن جعفر الصادق وقبر زبيدة زوجة هارون الرشيد وقبور الخلفاء وقبور ملوك بنى بويه .

وأخذت دولة بنى بويه فى عهد هذا الملك تزداد ضعفاً على ضعف وانحلت أمور الدولة ببغداد وغيرها وبينما كانت هذه الدولة تنحط يوماً فيوماً كانت دولة الســـلجوقيين تتوســـع وتقوى يوماً فيوماً وكان رجالها قد استولوا على بلاد كثيرة محـــاددة الشرقى العراق فى الوقت الذى كان العراقيون قد سئموا حكم البويهيين وملوا سياستهم وتمنوا زوال ملكهم .

وعـــلى أثـــر ذلـــك الانحـــلال والضعف طمع طغرك بك السلجوقى فى الاســـتيلاء عـــلى العراق فتقدم نحو بغداد بعد أن فتح بلاداً كثيرة فى الوقت الذى كـــانت الفوضى فيه ضاربة اطنابها فى العراق والحكومة عاجزة عن كل شىء وقد

انحـــل أمرها وليس لديها من الجند ما تستطيع به الدفاع عن بلادها ولا عندها مال تجهز به الجيوش .

وكانت النتيجة أن حمل طغرك بك السلجوقى على العراق بجيش كبير من الأتـــراك فأســـتولى على بغداد مقر الدولة البويهية والخلافة العباسية وحدثت يوم دخوله بغداد فتنة عظيمة احترقت فيها بعض المحلات وكثر النهب والقتل وذلك فى ســـنة ٤٤٧ هـــ وأنقرضت هذه الدولة من العراق بعد أن ملكته مائة وثلاثة عشر سنة من تاريخ استيلاء معز الدولة أحمد على بغداد إلى آخر أيام الملك الرحيم الذى أسره طغرك بك، وعدد هؤلاء الملوك الذين ملكوا العراق أحد عشر ملكاً .

وانتقل الحكم فى العراق بعدهم إلى السلاجقة ثم إلى الخلفاء العباسيين الذين أعادوا حقهم ونفوذهم ثم حمل هولاكو المغولى بجيوشه وقرض الخلافة العباسية فظل العـــراق ينتقل من دولة إلى أخرى حتى حمل الشاه إسماعيل الصفوى على السلطان مـــراد بن يعقوب آخر ملوك دولة الخروف الأبيض التركمانية وطرده من العراق وسيأتى ذكر ذلك .